

دراسات السنة النبوية بين الإنكار والإثبات

Studies of the Sunnah between denial and proof

إعداد الباحث/ تشان شيوه جيون

(ZHAN XUEJUN)

طالب دكتوراه، قسم الدراسات الإسلامية المعاصرة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية

المخلص:

يعرض الباحث في هذا البحث حركة إنكار السنة النبوية عبر العصور قديما وحديثا، متركزا على منكريها في العصر الحديث، وبيان طوائفهم، وأهم رجالهم، ومن أبرز شبهاتهم حول السنة المطهرة، ثم ذكرت فيه الدفاع عن السنة الذي يتمثل في جهود العلماء المسلمين قديما في مقاومة الوضع في السنة، ثم جهودهم في التأليف قديما وحديثا، ثم الجهود المبذولة في الدفاع عنها في العصر الحديث والحاضر.

وتكمن أهمية هذا الموضوع، وسبب اختياري له لأن السنة النبوية الصحيحة هي المصدر الثاني للشريعة الإسلامية بعد كتاب الله تعالى، ولها منزلة عالية في الدين الإسلامي. ولبيان للناس شبهة إنكار السنة في العصر المعاصر.

يتمثل البحث بمقدمة تتضمن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف الموضوع، الدراسات السابقة، ومنهج البحث. وفصلين كل فصل يتضمن أربعة مباحث وخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات التي تمثلت: بتشجيع العلماء وطلبة العلم من أبناء الأمة على بذل الجهد في خدمة السنة النبوية والذود عن المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، وبيان حقيقة الذين ينكرون حجية السنة ومصدريتها التشريعية والرد عليهم، وتنبيه بعض المسلمين الذين يقعون في شبهات الإنكار للسنة المطهرة عن حسن نية، وهم الذين لم يتسلحوا بالعلوم الشرعية، وتوعية الناس في هذا العصر الراهن منزلة السنة في الإسلام، وأهميتها في التشريع الإسلامي ودعوتهم إلى العمل بما علموا من السنة، ولا يستصغرونه في حياتهم اليومية؛ حتى لا يقع في شبهة وفتنة إنكار السنة.

الكلمات المفتاحية: السنة النبوية، الإقرار والإنكار، الماضي، الحاضر

Studies of the Sunnah between denial and proof

By: ZHANXUEJUN

PhD student, Department of Contemporary Islamic Studies, Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University, Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia

Abstract:

In this research, the researcher presents the movement of denying the Prophetic Sunnah through ancient and modern times, focusing on its deniers in the modern era, the statement of their sects, and their most important men, and among their most prominent suspicions about the purified Sunnah. In the year, then their efforts in authorship, old and new, then the efforts made to defend it in the modern and present era.

The importance of this topic, and the reason why I chose it, is because the authentic Sunnah is the second source of Islamic law after the Book of God Almighty, and it has a high status in the Islamic religion. And to clarify for people the suspicion of denying the Sunnah in the contemporary era.

The research is represented by an introduction that includes the importance of the topic and the reasons for choosing it, the objectives of the topic, previous studies, and the research method. And two chapters, each chapter includes four sections and a conclusion, in which are the most important results and recommendations that were represented: encouraging scholars and students of knowledge from among the sons of the nation to exert effort in serving the Prophetic Sunnah and defending the second source of Islamic legislation, and clarifying the truth about those who deny the authenticity of the Sunnah and its legislative source and respond to them, and alerting some Muslims who They fall into the suspicions of denial of the pure Sunnah out of good faith, and they are the ones who did not arm themselves with the legal sciences, and to educate people in this current era of the status of the Sunnah in Islam, and its importance in Islamic legislation, and calling them to act on what they learned from the Sunnah, and do not underestimate it in their daily lives; So as not to fall into the suspicion and sedition denial of the Sunnah.

Keywords: Sunnah, Affirmation and Denial, The past, the present

مقدمة:

الحمد لله الذي قال (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)¹، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين الذي (لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)² وبعد،

فإن القرآن الكريم هو أساس الإسلام، ومصدره الأول وهو حجة الله البالغة في كل زمان ومكان إلى يوم الدين، وهو الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)³، وقال جل جلاله (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)⁴.

إن السنة النبوية المطهرة تعد المصدر الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية بعد كتاب الله تعالى، وقال سبحانه وتعالى - (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة)⁵، قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: "أي اعلمن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله - صلى الله عليه وسلم - في بيوتكن من آيات الله والسنة، قاله قتادة وغير واحد"⁶، وقال تعالى (ويعلمهم الكتاب والحكمة)⁷، قال العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - مفسرا لهذه الآية: "أي علم القرآن وعلم السنة"⁸.

أخلص مما سبق إلى أن السنة النبوية الصحيحة هي المصدر الثاني للشريعة الإسلامية، وهذا أمر لا ريب فيه، بناء عليه فإنها المصدر الثاني للثقافة الإسلامية.

إنكار السنة بدأ على أيدي الخوارج والشيعة، ثم انضم إليهم طوائف من المتكلمين، وبخاصة من المعتزلة الذين انتسب إليهم كثير من الزنادقة والفاسقين عن الملة، وأشهرهم في هذا الباب المعتزلة، فهؤلاء رفضوا سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لطعنهم في الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - هكذا بدأت مسيرة إنكار سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والشغب عليها، ورفض اعتبارها مصدراً تشريعياً كالقرآن، والخروج على طاعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، واستمر إلى القرن العشرين تصدى بعض الذين لا إمام لهم في هذا الفن إلى إنكار حجية السنة، مثل محمد توفيق صدقي، وهو طبيب فنشر في مجلة المنار في عدديها التاسع والثاني عشر فكره بعنوان "الإسلام هو القرآن وحده" عام 1906م - 1324هـ¹⁰.

1 سورة الجمعة 2

2 سورة النجم 3,4

3 سورة فصلت 42

4 سورة الحجر 9

5 سورة الأحزاب 34

6 تفسير القرآن العظيم ابن كثير ج 3 ص 636

7 سورة الجمعة 2

8 انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبد الرحمن السعدي ص 862

9 انظر شبهات القرآنيين حول السنة النبوية أ. د محمود محمد مزروعة ص 23-27 بتصرف واختصار

10 السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي دار الوراق د مصطفى السباعي ص 176

لقد علم العلماء المسلمون المكانة المهمة للسنة النبوية في الشريعة الإسلامية، كما سبق ذكر مكانتها في الدين الإسلامي، فتسابقوا في حفظها من الضياع، والتحريف والتدليس بكل ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا من الجمع والشرح ووضع القواعد للعلوم التي تخدم السنة المطهرة، نحو علم الجرح والتعديل وعلم التخريج والقيام بكشف الشبهات حولها، والخ ولا تزال العناية بالسنة النبوية مستمرة.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تكمن أهمية هذا الموضوع، وسبب اختياري له في النقاط التالية:

1/ لأن السنة النبوية الصحيحة هي المصدر الثاني للشريعة الإسلامية بعد كتاب الله تعالى، ولها منزلة عالية في الدين الإسلامي.

2/ لرغبتني في بذل جهد بقدر الاستطاع في خدمة السنة المطهرة.

3/ لبيان للناس شبهة إنكار السنة في العصر المعاصر.

4/ الإشارة إلى جهود العلماء في الدفاع عن السنة النبوية في العصر الحديث بالتأليف، وكذلك في عصرنا الحاضر من خلال وسائل التقنية.

أهداف الموضوع:

يهدف البحث إلى:

1/ بيان بداية إنكار السنة بما في ذلك من الفرق عبر التاريخ.

2/ كشف للناس حقيقة القرآنيين الذين يكتفون بالقرآن دون السنة النبوية من خلال ذكر نشأتهم، وأهم رجالهم، وشبهاتهم.

3/ إبراز جهود العلماء في الدفاع عن السنة النبوية قديما وحديثا، وبالإضافة إلى ذلك إيضاح بعض الصور من الجهود المبذولة في العصر الحاضر؛ لحث الناس على العناية بالدفاع عن السنة بكل ما استطاع إليه.

الدراسات السابقة:

1/ (منزلة السنة في الإسلام وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن) الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، حيث عرض الشيخ فيه عن وظيفة السنة مع القرآن، ثم ضرورة السنة في فهم القرآن، وذكر الشيخ في بيان تلك الضرورية بعض الآيات التي لا يمكن فهمها فهما صحيحا على مراد الله إلا عن طريق السنة، ثم تكلم عن ضلال المستغنيين بالقرآن عن السنة.

2/ (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) د مصطفى السباعي حيث تحدث في هذا الكتاب القيم عن منزلة السنة في التشريع الإسلامي، وبداية الوضع في الحديث، وجهود العلماء في مقاومة حركة الوضع، ثم الشبه الواردة على السنة في مختلف العصور، مثل الشيعة، والخوارج، والمعتزلة، والمستشرقين.

3/ (القرآنيون وشبهاتهم حول السنة) د خادم حسين إلهي بخش تكلم الدكتور في كتابه هذا أولاً عن تاريخ فكرة إنكار السنة قديماً وحديثاً، مثل تاريخ فرقة القرآنيين في الهند وباكستان، وبعد ذلك عن الأصول التاريخية لفكر القرآنيين، وقد جعل الدكتور باباً كاملاً لدراسة أفكار القرآنيين، وذلك بذكر شبهاتهم والرد عليها، ومناقشة آراءهم الاعتقادية في الشرك والعرش والاستواء وعصمة النبي - عليه الصلاة والسلام - والخ.

في هذا البحث الذي سمّيته (الدراسات للسنة النبوية سلماً وإيجاباً والعصر الحديث بوجه خاص)، حيث عرضت فيه حركة إنكار السنة النبوية عبر العصور قديماً وحديثاً، متركزاً على منكريها في العصر الحديث، وبيان طوائفهم، وأهم رجالهم، ومن أبرز شبهاتهم حول السنة المطهرة، ثم ذكرت فيه الدفاع عن السنة الذي يتمثل في جهود العلماء المسلمين قديماً في مقاومة الوضع في السنة، ثم جهودهم في التأليف قديماً وحديثاً، ثم الجهود المبذولة في الدفاع عنها في العصر الحديث والحاضر.

منهج البحث:

استخدمت في هذا البحث المنهج التحليلي التاريخي؛ حيث أوردت فيه عرضاً لبعض الفرق التي تنكر السنة عبر التاريخ، ثم ذكرت القرآنيين بصورة مفصلة، باعتبارهم من أهم منكري السنة في العصر الحديث.

وقد راعيت فيه الأمور التالية:

- 1/ عزوت الآيات القرآنية إلى سورها، وذكرت اسم السورة ثم رقم الآية.
- 2/ خرجت الأحاديث الواردة من مصادرها الأصلية.
- 3/ حرصت على جمع المعلومات من المصادر الأصلية مباشرة، ورجعت في المسألة الواحدة إلى أكثر من مرجع بقدر الاستطاع.
- 4/ ترجمت لبعض الأعلام غير الصحابة والأئمة الأربعة والمعروفين لدي الأغلب.
- 4/ عملت فهارس للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية والآثار، والأعلام والمصادر والمراجع، والمحتويات.

تقسيمات البحث:

المقدمة:

- 1- أهمية الموضوع وأسباب اختياره
- 2- أهداف الموضوع
- 3- الدراسات السابقة
- 4- منهج البحث

5- تقسيمات البحث تشمل الفصلين كالتالي:

الفصل الأول: الدراسات السلبية للسنة النبوية وتحته أربعة مباحث:

المبحث الأول: درجات منكري السنة النبوية

المبحث الثاني: من منكري السنة النبوية قديما

المطلب الأول: الخوارج

المطلب الثاني: الرافضة

المطلب الثالث: المعتزلة

المبحث الثالث: من منكري السنة النبوية حديثا

المطلب الأول: القرآنيون

المطلب الثاني: من أسباب تسميتهم بالقرآنيين

المطلب الثالث: نشأة القرآنيين وأسبابها

المطلب الرابع: طوائف القرآنيين المعاصر

المطلب الخامس: القرآنيون في الهند وأهم رجالهم

المطلب السادس: القرآنيون في مصر

المطلب السابع: مقارنة بين حركة منكري السنة في الهند ومصر

المبحث الرابع: من أهم شبهاتهم حول السنة والرد عليها

الفصل الثاني: الدفاع عن السنة النبوية ويشمل أربعة مباحث

المبحث الأول: جهود العلماء في مقاومة الوضع دفاعا عن السنة

المبحث الثاني: جهود العلماء في الدفاع عن السنة النبوية بالتصنيف قديما وحديثا

المبحث الثالث: من أهم جهود العلماء في الدفاع عن السنة النبوية في العصر الحديث

المبحث الرابع: من صور الدفاع عن السنة في العصر الحاضر

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات

فهرس المراجع والمصادر

الفصل الأول: الدراسات السلبية للسنة النبوية (الرافضون للسنة)

مع أن السنة النبوية منزلة عالية، وهي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي يوجد من يقوم بإنكارها، والاعتداء عليها، والعبث بها، والتشكيك في حجيتها، واختلاق الأكاذيب حولها، - وهو ما سعت إليه الفرق المنحرفة قديمًا، ويسعى إليه المنحرفون حديثًا - كل ذلك يعد أمرًا بالغ الخطورة؛ إذ إن ذلك يترتب عليه فتح أبواب شر تقوض بنيان الإسلام.¹

المبحث الأول: درجات منكري السنة النبوية

الطاعون في السنة فرق شتى وجماعات مختلفة وأفراد كثيرون، لكن إنكارهم للسنة وطعنهم فيها على درجات²:

1- فمنهم منكرون للسنة كلها: مثل بعض الفرق القديمة، أو الرافضة مثل عبد الله جكر الوي، وغلالم أحمد برويز الذي أسس (جمعية أهل القرآن)،

ومن هؤلاء محمد توفيق صدقي (1298-1338م)، وأبو شادي أحمد زكي (1892-1955)³.

2- ومنهم من ينكر السنة، لكن يستثنى منها السنة العملية المتواترة، كالصلاة والزكاة والصيام والحج، وهذا مذهب كثير من المعتزلة، وكثير من منكري السنة حديثًا.

3- ومنهم مقرون بالسنة، لكن لا يحتجون منها بأخبار الأحاد في العقيدة، مثل كثير من أهل الكلام.

4- ومنهم من ليس له قاعدة ولا ضابط، وإنما ينكر هذا الحديث أو ذاك لمخالفته لمعقوله، أو لهواه، أو لغرض في نفسه، أو لسبب آخر، من أبرز منكري السنة النبوية جزئياً السيد محمد رشيد رضا (1865-1935م)، وأحمد أمين (1887-1954) ومعمر القذافي⁴، هذه الفرق وإن كانت قديمة؛ فليست العبرة بأشخاص مؤسسي تلك الفرق، ولا بزمانهم ولكن العبرة بوجود أفكار تلك الفرق في وقتنا الحاضر.

المبحث الثاني: من منكري السنة النبوية قديماً

إن الطعن في السنة النبوية هدم للإسلام في عقائده وعباداته ونظمه وأخلاقه وهدم لوحده، فيما يلي سأعرض بعض الفرق التي تنكر السنة النبوية بدرجات مختلفة:

¹ نشأة القرآنيين وشبهاتهم في العصر الحديث أ سلمان الجنوع <http://www.ebadarahman.com/forum/showthread.php?10452>

² قضايا منهجية ودعوية محمد صلاح ص 62 <http://alminbr-al3elmy.com/vb/forumdisplay.php?f=158>

³ القرآنيون وشبهاتهم حول السنة النبوية د خادم حسين إلهي بخش مكتبة الصديق ط 2 ص 153-180

⁴ المرجع السابق ص 187-198

المطلب الأول: الخوارج

حيث كان الخوارج قبل الفتنة يعدلون الصحابة - رضي الله عنهم - ثم بعد الفتنة كفروا عثمان وعلياً وأصحاب معركة الجمل والحاكمين، ومن رضي بالتحكيم، وبذلك ردوا أحاديث جمهور الصحابة بعد الفتنة، ونتيجة لذلك هُجمت السنة، فالخوارج إن لم يكونوا وقعوا في الكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا أنهم ردوا الأحاديث التي اشترك رواتها في الفتنة.¹

المطلب الثاني: الرافضة

الرافضة طوائف عديدة، فمنهم من ينكرون الاحتجاج بالسنة، ويقتصرون على القرآن، وهم الذين يعتقدون أن الخلافة في علي - رضي الله عنه - فلما تولى أبو بكر - رضي الله عنه - الخلافة بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال الرافضة - لعنهم الله - كفروا وجاروا وعدلوا بالحق عن مستحقة، وبنوا على ذلك رد الأحاديث كلها، إلا من عرف بولائه لعلي - رضي الله عنه - وعددهم لا يتجاوز خمسة عشر صحابياً، فالعدالة لا عبرة بها دام الراوي من الموالين للأئمة، بل يقبلون منه وإن كان مطعوناً في دينه، وحكموا أيضاً بصحة روايات المشبهة والمجسمة.²

وتعد الرافضة من أكثر الفرق كذباً على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، بل وعلى آل البيت أيضاً.

وقد سئل الإمام مالك عن الرافضة، فقال: (لا تكلمهم ولا ترو عنهم فإنهم يكذبون)³

وقال الإمام الشافعي عنهم: (ما رأيت في أهل الأهواء قوماً أشهد بالزور من الرافضة)⁴

ويقول شريك بن عبد الله القاضي⁵، وقد كان معروفاً بالتشيع مع الاعتدال فيه: (احمل عن كل من لقيت إلا الرافضة؛ فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه ديناً)⁶

وقال حماد بن سلمة⁷: (حدثني شيخ لهم - يعني الرافضة - قال:

(كنا إذا اجتمعنا فاستحسننا شيئاً جعلناه حديثاً)⁸

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:

¹ انظر المرجع السابق ص 83

² انظر المرجع السابق ص 79

³ المرجع السابق ص 22

⁴ المرجع السابق ص 14

⁵ شريك بن عبد الله العلامة الحافظ القاضي أبو عبد الله النخعي، أحد الأعلام، على لين ما في حديثه، توقف بعض الأئمة عن الاحتجاج بمفاريده. 200/8 سير الأعلام للذهب

⁶ منهاج السنة / لابن تيمية ج 1 ص 13

⁷ حماد بن سلمة بن دينار، الإمام القدوة، شيخ الإسلام، أبو سلمة البصري النحوي، مولى آل ربيعة بن مالك، توفي يوم الثلاثاء في ذي الحجة سنة سبع وستين ومائة. 444/7 سير الأعلام للذهب

⁸ المرجع السابق ج 1 ص 13

(ومن تأمل كتب الجرح والتعديل، رأى المعروف عند مصنفها بالكذب في الشيعة أكثر منهم في سائر الطوائف)¹
ولقد أخذ هؤلاء المنتسبون أعداء الإسلام يصنعون الأحاديث في أغراض شتى، حسب أهوائهم ونحلهم.

المطلب الثالث: المعتزلة

نشأت في العهد الأموي، ورأسها هو واصل بن عطاء، وكان أهم ما خالفوا فيه قولهم بخلق القرآن، وافتרכת المعتزلة على اثنتين وعشرين فرقة، والحديث هنا سيكون عما يجمع هذه الفرق في موقفهم من السنة.

فقد سلك المعتزلة مسلك التشكيك في الأحاديث التي تتصادم بمبادئهم وأصولهم ويكذبونها، وإن علت درجاتها في الصحة أو يؤولونها تأويلاً باطلاً، ويتجاوزون هذا إلى تجريح روايتها، حتى وصل تجريحهم إلى الصحابة -رضوان الله عليهم-، وعند النظر نجد أن مقياس المعتزلة في أخذهم وردهم الأحاديث مبني على الهوى؛ لأنهم أنكروا أحاديث صحيحة أو شككوا في صحتها، واستنصروا بأحاديث ضعيفة أو موضوعة لصالح مذهبهم.²

ولقد اتبع نهجهم وطريقتهم في عصرنا الحاضر طائفة من العقلانيين والمستشرقين ودعاة التغريب، فاتبعوا أهواءهم في أخذ ما يوافق هواهم من الأحاديث؛ لأنهم وجدوا في منهج المعتزلة منهجاً له أثره في إفساد الفكر الإسلامي.

المبحث الثالث: من منكري السنة النبوية حديثاً

إن الدعوة إلى الاعتماد على القرآن دون السنة في التشريع الإسلامي بدأت تغزو الهند، منذ النهاية القرن التاسع عشر على إثر انتشار الأفكار التي بثها أعضاء حركة أحمد خان، غير أن مفعولها سرى بشكل واضح في بنجاب بأواسط الهند الموحدة، وما أسوأ حظ هذه البقعة من الأرض؛ إذ نبعت منها حركتان هدامتان للإسلام: القاديانية والقرآنية.³

المطلب الأول: القرآنيون

فإننا نجد أن هناك فرقة، وهم قرآنيون يدعون إلى إلغاء السنة بالكلية، وعدم الاعتداد بها في مصدرية التشريع؛ نتيجة للشبهات التي خلفها الخوارج والشيعة والمعتزلة على الخلاف بين بعض أهل العلم.

من المعلوم أن هذا الاتجاه لإنكار السنة النبوية لم يكن منتشرراً في الأقطار، بل وجد عند بعض الأفراد بعد القرن الثاني، لا نرى في كتب التاريخ والعقائد ومن ألف في الفرق والمذاهب ظهور هذه الفرقة، وهذا المذهب واستمر الوضع هكذا أحد عشر قرناً على وجه التقريب.⁴

وفي القرن الثالث عشر الهجري ظهرت هذه الفتنة من جديد، فكانت نشأتها في مصر، وترعرعت وقويت في الهند.¹

¹ المنتقى من منهاج الاعتدال للحافظ الذهبي ص 22

² القرآنيون شبهاتهم حول السنة د/ خادم حسين إلهي بخش ص 88

³ القرآنيون وشبهاتهم حول السنة النبوية د خادم حسين إلهي بخش ص 19

⁴ دراسات في الحديث النبوي لأعظمي ص 26

وهذه الدعوى قديمة عدا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولسنته الموروثة، لكن الجديد هو هذه الفئة من منكري سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- التي بدأت في أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل العشرين الميلادي في بلاد الهند، ثم انتقلت إلى باكستان بعد استقلالها عن الهند وما تزال².

المطلب الثاني: من أسباب تسميتهم بالقرآنيين:

من العجيب أنهم ينسبون إلى القرآن المجيد، فهم يحبون أن يسموا أنفسهم "القرآنيون"؛ نسبة إلى القرآن كتاب الله المجيد ظلماً وزوراً، وقد اختاروا هذه النسبة؛ إيهاماً للناس بأنهم ملتزمون بكتاب الله هذا من جانب، ومن جانب آخر يشيرون من طرف خفي إلى أن غيرهم من المسلمين الذين يؤمنون بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ويعملون بها ليسوا قرآنيين، وأنهم اشتغلوا بالسنة وتركوا القرآن، وأيضاً حتى يجنبوا أنفسهم المؤاخذه، ويقطعوا سبل الاعتراض عليهم؛ لأنه من ذا الذي يعترض على طائفة أعلنت أنها تنتسب إلى القرآن وتتمسك به؟³

المطلب الثالث: نشأة القرآنيين وأسبابها

⁴ وقد أخبر عنهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، فعن المقدم بن معد يكرب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته، يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله).⁵

إن الدعوة إلى الاعتماد على القرآن دون السنة في التشريع الإسلامي بدأت تغزو الهند منذ نهاية القرن التاسع عشر على إثر انتشار الأفكار التي بثها أعضاء حركة أحمد خان، غير أن مفعولها سرى بشكل واضح في بنجاب بأواسط الهند الموحدة، ففي سنة 1900م نهض من تلك البقعة غلام أحمد القادياني، وادعى النبوة، ومنها في عام 1902م بدأ غلام نبي المعروف بعبد الله جكرالوي مؤسس الحركة القرآنية نشاطه الهدام بإنكار السنة كلها، متخذاً مسجداً بلاهور مقراً لحركته تلك، وقد تزعم حركة القرآنيين في بداية الأمر شخصيتان: محب الحق عظيم أبادي في بهار - شرقي الهند - وعبد الله جكرالوي في لاهور، في آن واحد من منبع متحد.⁶

ويمكن القول في ضوء دراسة الظروف التي أدت إلى نشأة الحركة القرآنية بأن نشأتهم تعود إلى أسباب عديدة أهمها ما يلي:

¹ المقالة القرآنيين وشبهاتهم رياض بن عبد المحسن بن سعيد

² شبهات القرآنيين حول السنة النبوية د محمود محمد مزروعة ص 4

³ المرجع السابق ص 4

⁴ المرجع السابق ص 5

⁵ رواه أبو داود في كتاب السنة، باب رقم 6، في لزوم السنة (11/5) والترمذي في كتاب العلم، باب رقم 10، ما نُهي عنه أن يقال (37/5)

⁶ القرآنيين وشبهاتهم حول السنة النبوية د خادم حسين إلهي بخش مكتبة الصديق ط 2 ص 19

1-: لعل السبب المباشر لنشأة القرآنيين بين المسلمين هو شعورهم بضرورة وحدة الصف الإسلامي، والخلاص من الفرق المتعددة والمذاهب من الحنفية والشافعية والحنابلة، وجعلهم المسلمين تحت راية واحدة، وقد استغلت الدولة هذا الأمر، وشجعت على المضي في نشر هذا الاتجاه الهدام.¹

2-: اتفقت المصادر التي بحثت عن نشأة القرآنيين وخروجهم إلى حيز الوجود، أنهم الثمرة التي بذر بذورها أعضاء حركة أحمد خان.

3-: الاستعمار بأساليبه المختلفة ومنها:

- أ - تشجيع أهل الإسلام على الجهل في العلوم الدينية والعصرية؛ مما نتج عنه فقدان العلم الصحيح بين الأوساط الإسلامية.
- ب - تشجيع الدولة المستعمرة جميع من يمد إليها العون حرصاً على بقائها في الهند بتقديم الأفكار والمقترحات، ومن ثم منحها الأوسمة والمعونات لأولئك الأفراد، وقد كان على رأس هؤلاء أحمد خان وأتباعهما.
- ج - استغلال الدولة تربية بعض الأفراد من المسلمين، وشحن أفكارهم لصالحها، وكان على رأس هؤلاء غلام أحمد القادياني وعبد الله جكرالوي وأتباعها.
- د- سياسة (فرق تسد) من ذلك إدخال بعض المعتقدات غير الإسلامية إلى الإسلام، مما تسبب عنه تشطير الصف الإسلامي الموحد.

4- اغترار بعض الفئات الإسلامية بالنظريات العلمية والأوروبية المنتشرة خلال النصف الأول من القرن العشرين، وتفسير الحقائق الإسلامية على ضوءها، والتوفيق بينها وبين الإسلام، وقد ترأس أتباع أحمد خان إيجاد هذا الانسجام، ثم تبعهم القرآنيون في هذا المسلك؛ لوجود الصلة الروحية بين الفريقين.

ويقول حبيب الرحمن الأعظمي عن نشأتهم: إن فتنة إنكار الحديث في الهند قد أثارها ظاهرة الأمر عبد الله الجكرالوي البنجابي، لكن الحق أنه قد غرس بذرتها قبله بكثير طائفة الطبيعيين، أما عبد الله الجكرالوي فإنه قد سقى تلك الشجرة الملعونة، فنمت وازدهرت، حتى رأى الناس بوجه عام أنه هو الذي أحدث هذه الفتنة.

ثم إن طائفة الطبيعيين لم تكن تبدي هذه العقيدة بطريق تكون أكثر شناعة، ولكن الجكرالوي قد أظهر خرافاته ومعتقداته الباطلة دون احتشام واستحياء، واتخذ لها أسلوباً فيه شيء كثير من الإلحاد والكفر والزندقة؛ فلذلك كله نسبت إليه فتنة إنكار الحديث.²

المطلب الرابع: طوائف القرآنيين المعاصرة

يوجد في الوقت الحاضر ثلاث طوائف من القرآنيين يجمعهم أمران

- أ - القول بالاعتصار على القرآن وحده في أمور الدنيا والآخرة،
- ب- أن السنة النبوية - على صاحبها أفضل الصلاة والسلام- ليست بحجة في الدين؛ فلا مجال لإقحامها فيه.³

¹ المرجع السابقة ص21

² نصره الحديث حبيب الرحمن الأعظمي 17

³ المرجع السابق ص58

الأولى: أمت مسلم أهل الذكر والقرآن أو الأمة المسلمة أهل الذكر والقرآن

هذه الطائفة تضم أتباع " عبد الله جكر الوي " الذي أسس حركته تحت اسم: " أمة مسلمة "، وهذه الطائفة التي تمثل فكر " جكر الوي "، و"الأمرتسرى " أخذها الضعف والوهن - بفضل الله سبحانه - وأضحى نشاطها محدوداً ومقصوراً على أعضائها القليلين نسبياً، ولهذه الطائفة معابد يتعبدون فيها على طريقتهم الكافرة التي لا يعرفها دين الله، ويسمون معابدهم هذه: مساجد إصراراً منهم على أنهم من المسلمين، بل على أنهم هم المسلمون، ومعابدهم هذه توجد في بعض المدن الباكستانية، والمعبد منها لا يزيد على حجم الحجرة الواسعة، وهم يؤدون فيها صلاة الجمعة، وثلاث صلوات في كل يوم حسب عقيدتهم، وكل صلاة ركعتان، وفي كل ركعة سجدة واحدة، وهم لا يرفعون من الركوع، بل ينزلون منه إلى السجود مباشرة، وخطر هذه الطائفة قليل نسبياً، كما أن الكثيرين من أتباعها قد انضموا إلى حركات أخرى، مثل حركة: طلوع إسلام.

أن لهذه الطائفة مجلة خاصة بهم تحمل اسم "بلاغ القرآن" تنقل آراءهم إلى كافة الجهات النائية في باكستان.¹

الثانية: طلوع إسلام أو ظهور الإسلام

هذه الحركة أسسها " غلام أحمد برويز " منذ كان بالهند، ثم صحبها معه إلى باكستان عند انتقاله إليها، وهذه الحركة هي أنشط حركات منكري سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - "القرآنيين" على الإطلاق وأقواها وأخطرها وهي الأكثر أتباعاً، وقد زاد من أتباعها أنها قد ورثت الكثير من أتباع الطوائف الأخرى التي ضعفت أو انتهت مثل طائفة أهل الذكر والقرآن التي أسسها " عبد الله جكر الوي ".

وللطائفة مجلتها الشهيرة " طلوع إسلام " التي سميت الطائفة باسمها، ولها منتدياتها، وكذلك لها وجود مؤثر نوعاً على الساحة الإسلامية بباكستان.

وقال الدكتور محمود عنهم من معاملاته الشخصية مع هؤلاء:"

والجدير بالذكر أننا سمعنا بهم ونحن بباكستان - إذ كنت أستاذاً بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد - وقد سعيت وبعض الزملاء إلى لقاء هؤلاء، والاستماع إلى أفكارهم، وقد حدث ذلك ابتداءً بمدينة "روالبندي" القريبة من إسلام آباد، ثم كانت لنا لقاءات - لم تدم طويلاً - بمدينة كراتشي، حيث كانت أفكارهم ضحلة، ومعرفتهم بالإسلام متدنية، ورغبتهم في الوصول إلى الحق معدومة، وقد لمسنا أنهم يستمسكون بما هم عليه من ضلال و رغبة في التخلص من حدود الله وأحكام الشرع وإشباعاً لشهواتهم دون شعور بالحرع، وذلك ما تضمنه لهم أفكار برويز، وهذا ما يفسر لنا كثرة أتباعهم من الشباب ذكوراً وإناثاً، وكذلك من المثقفين المتأثرين بالثقافة الغربية النصرانية.²

¹القرآنيون وشبهاتهم حول السنة النبوية د خادم حسين إلهي بخش ص58

²شبهات القرآنيين حول السنة النبوية أ د محمود محمد مزروعة ص 81

كما أن لهؤلاء مجلة رسمية المشهورة الدائمة طلوع إسلام تنشر آراءها منذ بضع وأربعين سنة في أواسط الستينات من هذا القرن، وهناك من يقدر أن عدد هذه الطائفة بلغ بضع ملايين، ومن يقدر أن بلغ عددهم عشرات الألوف.¹

الثالثة: تحريك تعميم إنسانيّة، حركة تثقيف الإنسانية

وهذه حركة حديثة جداً، لا تنتمي إلى أحد من زعماء منكري السنة الذين سبق الحديث عنهم، ولكنها تنتمي إلى أحد الأثرياء الذين تأثروا بأفكار السابقين من منكري السنة، وبخاصة: برويز والإشارة هنا إلى أنه: عبد الخالق مألواة الذي أنشأ هذه الطائفة، ورأسها وينفق عليها من ماله.

وهذه الطائفة مضى عليها قرابة العشرين عاماً فقط، فهي حديثة، وتحاول أن تجد لها مكاناً على ساحة المنكرين لسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المرتدين عن الإسلام، ولكن تأثيرها لا يكاد يذكر.²

ومركز هذه الطائفة حالياً في لاهور، وليس لها صحيفة مستقلة غير أنها تقوم بنشر درس علمائهم ليوم الجمعة كل أربعاء في صحيفة مشرق اليومية.³

في سنة 1958م عقد مؤتمر عالمي تحت إشراف الدولة لقادة الفكر الإسلاميين؛ لإعطائهم الجرعات الأولية للدعوة إلى الأفكار القرآنية في العالم الإسلامي كله، غير أن علماء الشام ومصر والمغرب صاحوا في وجه برويز، معلنين تكفير تلك الأفكار، وأنه هدم صريح للإسلام.⁴

المطلب الخامس: القرآنيون في الهند وأهم رجالهم

وفيما يلي سأذكر أهم رجال القرآنيين في الهند، مع نبذة عن تاريخ كل منهم، وأهم آرائه أحياناً.

1- السيد أحمد خان (1817-1897م)

وتاريخ منكري السنة في شبه القارة الهندية في العصر الحديث يبدأ بهذا الرجل: "سير أحمد خان"، أو "السيد أحمد خان"، بل إن تاريخ الكثير من صور الخيانة للإسلام والمسلمين وابتداع الآراء الشاذة المخالفة لما عليه القرآن والسنة وإجماع الأمة مما كان سبباً في تفريق الأمة، وتشتيت جهودها ضد الإنجليز أعداء الإسلام، يرجع إلى هذا الرجل السيد أحمد خان.⁵

2- ثانياً: عبد الله جكرالوي (1830-1918م)

هو عبد الله بن عبد الله الجكرالوي، نسبة إلى بلدة (جكرالو) التي ولد بها، وهي إحدى قرى إقليم البنجاب، وهي لاهور بباكستان حالياً، ودعا الناس إلى مذهب جديد سمي أتباعه أهل الذكر والقرآن، وأنكر الأحاديث قاطبة، وصنف الرسائل في ذلك.¹

¹ القرآنيون وشبهاتهم حول السنة النبوية د خادم حسين إلهي بخش ص 62

² انظر شبهات القرآنيين حول السنة النبوية أ د محمود محمد مزروعة ص 82 بتصرف

³ انظر القرآنيون وشبهاتهم حول السنة النبوية د خادم حسين إلهي بخش مكتبة الصديق ط 2 ص 63 بتصرف

⁴ المرجع السابق ص 65

⁵ شبهات القرآنيين حول السنة النبوية أ د محمود محمد مزروعة ص 52

3- أحمد الدين الأمرثسري (1861-؟)

هو الخواجة أحمد الدين بن الخواجة ميان محمد إبراهيم، دعامة الفكر العميق للحركة القرآنية، ولد بمدينة أمر تسر بالهند، وبعد ولادته حمله والده إلى مرشده الشيخ غلام علي قصوري للدعاء له على عادة تلك الديار؛ فمسح الشيخ علي رأس أحمد الدين، وسما بهذا الاسم.²

المطلب السادس: القرآنيون في مصر³

بدأت دعوة منكري السنة في مصر في عهد محمد علي باشا، عندما بدأت البعثات العلمية تغدو وتروح لتلقي العلم في إيطاليا عام 1809م، ثم في فرنسا بعد ذلك، وفي عهد حفيده إسماعيل باشا، ازداد الوضع سوءاً بإنشاء المحاكم المختلطة، ثم المحاكم الأهلية التي سمح فيها للنصارى وغير المسلمين، أن يكونوا قضاة فيها.

ومن خلال جامعة القاهرة، ثم الجامعة الأمريكية البروتستانتية الإنجليزية بالقاهرة، فتحت الأبواب لعشرات المستشرقين الذين وفدوا إلى مصر للتدريس في كليتي الآداب ثم دار العلوم، فأعدوا أجيالاً من الأتباع والتلاميذ، مازالوا هم طليعة الكتاب ورجال التدريس، فتوالى على عمادة الكليتين ورئاسة الجامعة نفر كثير من منكري السنة (إجمالاً أو انتقاءً)، ويعتبر أحمد صبحي منصور الأب الروحي للقرآنيين في مصر، ومن أشدهم محمود أبو رية صاحب كتاب (أضواء على السنة المحمدية).

المطلب السابع: مقارنة بين حركة منكري السنة في الهند ومصر⁴

بالمقارنة بين الحركتين، نجد أنهما متأترتان بالفكر الغربي كنتيجة طبيعية للاستعمار، وما خلفه من سلبيات في البلاد الإسلامية، ولكن يظهر الاختلاف في أمور منها:-

1- أن حركة منكري السنة في مصر، لم يجتمع شملها حتى اليوم، بل ظلت حركة في الأفراد تقل حيناً وتكثر حيناً، بينما في الهند نجدها مستظلة بظل جماعي، ولها نشاطات واعترافات رسمية.

2- أنه عوقب أصحاب الأفكار المنحرفة في مصر، دون أن يتعرضوا إلى شيء من ذلك في الهند.

المبحث الرابع: من أهم شبهات القرآنيين حول السنة النبوية والرد عليها**الشبهة الأولى: قولهم: حسبنا القرآن**

وهم يزعمون أن القرآن قد اشتمل على الدين كله، وأنه بين الإسلام بكامله، ويشمل كل ما يحتاج إليه المسلمون؛ فلا حاجة إلى غيره ولهذا كان القرآن كافياً، ولم يكن ثمة حاجة إلى المصدر الثاني للتشريع، والمراد منهم به السنة النبوية،

¹ القرآنيون وشبهاتهم حول السنة النبوية د خادم حسين إلهي بخش مكتبة الصديق ط 2 ص 25

² المرجع السابق ص 33

³ انظر المرجع السابق ص 120

⁴ انظر المرجع السابق ص 145

حتى استدلوها لشبهتهم هذه كما يزعمون من القرآن، و من ذلك قوله -سبحانه -: (ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)¹.

يقول عبد الله الجكرالوي: إن الكتاب المجيد ذكر كل شيء يحتاج إليه في الدين مفصلاً مشروحاً من كل وجه، فما الداعي إلى الوحي الخفي؟ وما الحاجة إلى السنة²؟

الرد عليها:

لو كان الأمر فعلاً كما يزعمون، فأين عدد الصلوات الخمسة المفروضة في اليوم واللييلة؟ وأين عدد الركعات لكل منها؟ وما هو نصاب الزكاة بأنواعها؟ كزكاة الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم، وأمثالها كثيرة.

وفي هذا كلام جميل³ يقول الدكتور السباعي بحق: " إن الله لم ينص في الكتاب على كل جزئية من جزئيات الشريعة، وإنما بين أصول الشريعة ومصادرها وقواعدها ومبادئها العامة، ومن الأصول التي بينها العمل بسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - كما في قوله -تعالى- (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)⁴"

الشبهة الثانية: السنة ليست وحياً

زعمت هذه الطائفة أن السنة النبوية ليست وحياً من قبل الله - سبحانه - على رسوله - صلى الله عليه وسلم -، ولكنه اجتهاد وتصرف من النبي - صلى الله عليه وسلم - بمقتضى بشريته، وهو - صلى الله عليه وسلم - بهذا الاعتبار يصيب ويخطئ؛ فالسنة ليست وحياً، وبالتالي فهي ليست منزهاً عن الخطأ؛ لأن المنزه عن الخطأ إنما هو الوحي، ولا وحي إلا القرآن المجيد، وإذا كانت أقوال الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأفعاله ليست وحياً، فلسنا ملزمين باتباعها، ولا هي مصدر من مصادر التشريع.⁵

الرد عليها:

قبل كل شيء ترد هذه الشبهة بقوله - تبارك وتعالى - (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)⁶

قال القرطبي في تفسيره هاتين الآيتين: فيها دلالة على أن السنة كالوحي المنزل من الله⁷، والإضافة إلى كلامه مع وجود الفروق الجوهرية بين القرآن والسنة.

¹ سورة يوسف 111

² المرجع السابق ص 210

³ دفاع عن الحديث النبوي الشريف وتفنيد شبهات خصومه نخبة من العلماء مطبعة الإمام القاهرة ص 102

⁴ سورة الحشر 7

⁵ شبهات القرآنيين حول السنة النبوية أ د محمود محمد مزروعة ص 96

⁶ سورة النجم 3-4

⁷ الجامع لأحكام القرآن محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي دار الشعب المجلد السابع ص 283

الشبهة الثالثة: عدم أمر النبي - عليه الصلاة والسلام - بتدوين السنة دليل على عدم حجيتها.

قالوا إن السنة لم تكن شرعاً عند النبي - صلى الله عليه وسلم-، ولم يقصد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن تكون سنته مصدراً تشريعياً للدين، وما قال شيئاً أو فعله بقصد التشريع، ولم يرد النبي - صلى الله عليه وسلم - في حياته أن يكون ثمة مصدر تشريعي سوى القرآن المجيد، بل كان مصدر التشريع عند الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو القرآن وحده، وكذلك فهم الصحابة - رضوان الله عليهم - وجاء عهد التابعين الذي بدأت فيه فتنة القول بالسنة، وأنها مصدر من مصادر التشريع!

واستدلوا على ذلك بحديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه).²

الرد عليها:

إن النهي من النبي - صلى الله عليه وسلم - عن تدوين السنة لم يكن إلا خوفاً من اختلاط بعض أقوال النبي الموحزة الحكيمة بالقرآن سهواً من غير عمد، وذلك خطر على كتاب الله، يفتح باب الشك فيه لأعداء الإسلام مما يتخذونه ثغرة ينفذون منها إلى المسلمين لحملهم على التحلل من أحكامه والتقلت من سلطانه كل ذلك وغيره مما توسع العلماء في بيانه من أسرار عدم تدوين السنة في عهد الرسول، وبهذا نفهم سر النهي عن كتابتها.³

وبالتالي أن هناك أحاديث صحيحة صريحة تشير إلى الأمر بالتدوين، فأن أبا بكر الخطيب - رحمه الله - (ت463هـ) قد جمع روايات المنع، فلم يصح منها إلا حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - السابق ذكره، وقد بينا أن الإمام أبا عبد الله البخاري حمه الله - قد أعله بالوقف على أبي سعيد، وكذلك فعل غيره⁴ بينما أحاديث الإذن كثيرة، والصحيح منها كثير، ومنها:

إن الرسول - عليه الصلاة والسلام - أوماً بأصبعه إلى فيه و قال: (اكتب فالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا الحق)⁵

وكذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في مرض موته: (انتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده)⁶

لو كان من المفترض جدلاً أن حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - صحيح؛ فكان هناك عدة طرق في التوفيق بين النهي والإذن⁷، وهي كالتالي:

أولاً: أنه يحتمل أن يكون النهي منسوخاً بالإذن، وهذا قول الأكثرين.

¹ شبهات القرآنيين حول السنة النبوية أ د محمود محمد مزروعة ص 109

² أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب التثبت في الحديث 129/18

³ انظر السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د مصطفى السباعي دار الوراق ص 77 بتصريف يسير

⁴ شبهات القرآنيين حول السنة النبوية أ د محمود محمد مزروعة ص 115

⁵ رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ج 1/ ص 71

⁶ رواه البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم 315/1، برقم 114

⁷ هذه طرق الجمع استفدتها من كتاب السنة مكانتها في التشريع الإسلامي ص 78

ثانياً: أنه يحتمل أن يكون النهي خاصاً بمن لا يأمن عليه الغلط والخلط بين القرآن والسنة، أما الإذن فخاص بمن آمن عليه ذلك.

ثالثاً: أنه قد يكون النهي هو عن التدوين الرسمي، كما كان يدون القرآن، وأما الإذن فهو سماح بتدوين النصوص من السنة لظروف وملابسات خاصة أو سماح لبعض الصحابة الذين كانوا يكتبون السنة لأنفسهم.

وأخلص مما ذكر إلى أن شبهتهم هذه باطلة، وما استدلوها به في غير مقامه.

فيما سبق أوردت بعض الشبهات لهؤلاء القرآنيين حسب خطورتها من وجهة نظري، غير أن شبهاتهم كثيرة في كتابات العلماء المسلمين الذين بذلوا جهودهم في سبيل الدفاع عن المصدر الثاني، ألا وهو السنة النبوية.

الفصل الثاني: الدفاع عن السنة النبوية

كان الصحابة - رضي الله عنهم - يعيشون بأمن وسلام على دينهم في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، أرشدهم النبي - عليه الصلاة والسلام - قبل انتقاله - صلى الله عليه وسلم - إلى الرفيق الأعلى إلى رأس الخير، ووصى به، وهو الاعتصام بكتاب الله - عز وجل - وسنته - صلى الله عليه وسلم - فقال - صلى الله عليه وسلم - (إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به، فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه)¹.

وفي عهد أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - لم يظهر الطعن في السنة إلا ما كان من حالات فردية يقضى عليها في بداياتها.

وفي آخر عهد عثمان - رضي الله عنه - بدأت الفتنة والتي انتهت بقتله - رضي الله عنه -.

ثم توالى البدع في عهد علي - رضي الله عنه - وظهور الفرق كالخوارج الرافضة وغيرها.

وقد واجه الصحابة الكرام والتابعون لهم بإحسان هذه الفرقة وأمثالها من أهل البدع، فأنكروا عليهم بدعهم، وحذروا الناس منهم، فعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: (أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفاننت منهم أن يعوها، واستحبوا حين سئلوا أن يقولوا: لا نعلم، فعارضوا السنن برأيهم، فإياكم وإياهم)².

وعن أبي قلابة قال: (لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة، أو يلبسوا عليكم في الدين بعض ما لبس عليهم)³.

وعن الحسن البصري⁴ - رحمه الله - أنه قال: (لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، ولا تسمعوا منهم)⁵.

¹ أخرجه مالك في الموطأ برقم 3338 والدارقطني في سننه برقم 73

² أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم برقم 2001

³ الشريعة للأجري ص 65

⁴ الحسن البصري هو الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، توفي في رجب سنة عشر ومائة. 563/4 سير الأعلام

للذهبي

⁵ شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ج 1 ص 133

ثم قيض الله - عز وجل - في كل عصر من العصور من يقف لهذه الفرق الضالة وأقوالها بالمرصاد، ويواجه ظلماتها بنور الحق، وهؤلاء هم حملة السنة، وقد وعوا عن الله وعن رسوله ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله، واستناروا بمنهج رسول الله - صلي الله عليه وسلم - في كشفهم للضلال والشبهات، وكلما زاد أهل الضلال في عنادهم وتعسفوا في رد الحق، كلما توسع أهل الحق في الرد عليهم وبيان باطلهم.

لقد أدرك سلفنا قيمة السنة ومنزلتها العالية، بدأوا يهتمون بعنايتها عناية فائقة، وبدؤوا يخشون خوفًا من الضياع، ودراسة أسانيدنا ورجالها خشية من الدخيل، وبالإضافة إلى ذلك كانوا يقومون بنشرها وتوضيحها بكل طريق من الجمع والشرح والتدريس والتأليف والدعوة إليها.

وفي أعناقنا اليوم أمانة ضخمة تملئها علينا عقيدتنا وواجبنا تجاه خدمة السنة الشريفة حفظًا لها وتبليغًا وعملاً بها وتطبيقًا.

ففي عهدنا تنوعت وسائل الكتابة والطباعة والإعلام، وبين أيدينا أمهات الكتب والدواوين المستوعبة والجوامع والمسانيد التي لم تكن متوفرة قبل ذلك؛ ومن أجل هذا فإن واجبنا تجاه السنة الشريفة يلزمنا بأن نقوم بدراساتها، والنود عن حماها، ورد كل ما يثار من أباطيل الأعداء وشبههم ومن محاولاتهم اليائسة في الوضع والدس والاختلاق.

وبحمد الله قامت النهضات العلمية في البلاد الإسلامية في الجامعات والمعاهد والمدارس مما يبشر بنجاح ونصر قريب ونهضة كبرى في الصناعة الحديثية ودراسة أصول الحديث النبوي وتحقيق مخطوطاته، نسأل الله - تعالى - أن يكمل هذه الجهود بالتوفيق والنجاح، وأن تتجاوب مع أصداء هذه النهضة جميع البلاد الإسلامية حفظًا للسنة وحراسة التراث وتبليغًا للدعوة¹.

المبحث الأول: جهود العلماء في مقاومة الوضع دفاعًا عن السنة النبوية

ظهر الكذب على الرسول - صلى الله عليه وسلم - من عصر كبار التابعين بسيطًا لأن الخلاف في أول عهدهم كان بسيطًا، وكذلك بوجود الصحابة وكبار التابعين، ثم مع مرور الزمن كثر الكذب والوضع في السنة النبوية، ومن أسباب الوضع التعصب السياسي والتعصب العنصري والزندقة والقصاصون والخلافات الفقهية والكلامية والجهل بالدين مع الرغبة في الخير².

فقام العلماء بمقاومة هذا الوضع، واتخذوا لذلك طرقًا لتجنب منه، ووضعوا القواعد لتمييز الصحيح من الموضوع، ومن أهم الخطوات التي يسير عليها العلماء في مقاومة الوضع:

أولاً: الالتزام بالإسناد

لم يكن صحابة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد وفاته - صلى الله عليه وسلم - يشك بعضهم في بعض، ولم يكن التابعون يتوقفون عن قبول أي حديث يرويه صحابي عن رسول الله، حتى وقعت الفتنة،

¹ دفاع عن الحديث النبوي أحمد عمر هاشم مكتبة وهبة ص 22

² انظر المرجع السابق من 20-22 بتصرف راجع كتاب دراسات في الحديث الشريف والسند والتمتد د. السيد أحمد عبد الغفار ص 85-99 دار المعرفة الجامعية

وقام اليهودي عبد الله بن سبأ بدعوته الأئمة التي بناها على فكرة التشيع القائلة بألوهية علي - رضي الله عنه - وأخذ الدس على السنة يربو عصرا بعد عصر، عندئذ بدأ العلماء من السلف يتحرون في نقل الأحاديث، يقول ابن سيرين¹ - رحمه الله فيما يرويه عنه الإمام مسلم - رحمة الله عليه - في مقدمة صحيحه: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا سمو لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم."²

يقول ابن المبارك³ - رحمه الله -: "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء." وقال أيضا: "بيننا وبين القوم القوائم" يعني الإسناد.⁴

ثانيا: التثبت من الأحاديث⁵

كان من فضل الله وعنايته بالسنة النبوية أن بارك في أعمار عدد من الصحابة والفقهاء، يرجع الناس إليهم حين يقع الاختلاف؛ ليستوثقوا من الأحاديث، وكثرت الرحلات العلمية لبعض الصحابة والتابعين واتباعهم ومن بعدهم من علماء الحديث من أجل التثبت، يقول سعيد بن المسيب⁶ - رحمه الله - "إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد"⁷

ثالثا: نقد الرواة وبيان حالهم من صدق أو كذب، وهذا باب عظيم، واجتهد من العلماء في تمييز الصحيح من المكذوب والقوي من الضعيف، وقد تتبعا الرواة ودرسوا حياتهم وتاريخهم وسيرهم وما خفي من أمرهم وما ظهر، ولم تأخذهم في الله لومة لائم، ولا منعهم عن تجريح الرواة والتشهير بهم وورع ولا حرج، قيل ليحيى بن سعيد القطان: "أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله يوم القيامة؟ فقال: لأن يكون هؤلاء خصمي أحب إلي من أن يكون خصمي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: لم تم تذب الكذب عن حديثي؟"⁸

المبحث الثاني: جهود العلماء في الدفاع عن السنة النبوية بالتصنيف قديما وحديثا

1- (الرسالة) للشافعي، ويعتبر صاحب السبق في هذا الباب وصاحب الإجابة والإتقان فيه، توفي 204هـ.

2- (طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم -) للإمام أحمد، ردَّ فيه على من احتج بظاهر القرآن في معارضة سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وترك الاحتجاج بها، توفي 241هـ.

¹ محمد بن سيرين الإمام شيخ الإسلام، أبو بكر الأنصاري، مولى أنس بن مالك، خادم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان أبوه من سبي جرجاريا، توفي محمد سنة عشر ومائة 606/4 سير الأعلام للذهبي

² السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي د مصطفى السباعي ص 108 دار الوراق

³ عبد الله بن مبارك، الإمام شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، أبو عبد الرحمن، توفي رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة 378/8 سير الأعلام للذهبي

⁴ المرجع السابق ص 109

⁵ الدفاع عن الحديث النبوي د أحمد عمر هاشم ص 87 مكتبة وهبة

⁶ سعيد بن المسيب ابن حزن بن ابي وهب بن عمرو بن يقظة، الإمام العلم، أبو محمد القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين، توفي سنة أربع وتسعين 217/4 سير الأعلام للذهبي

⁷ جامع بيان العلم وفضله ابن عبد البر 94/1 المطبعة المنيرية

⁸ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي د مصطفى السباعي ص 108 دار الوراق

- 3- (الانتصار لأصحاب الحديث) أبو محمد الحسن بن أبي المظفر السمعاني، توفي 489هـ.
- 4- (منهاج السنة - درء التعارض بين العقل والنقل) لشيخ الإسلام بن تيمية، توفي 728هـ.
- 5- (الصواعق المرسلّة) لابن القيم، وبحث فيه مسألة خبر الواحد، كما صنّف (إعلام الموقعين) وخصص مئات الصفحات للذب عن السنن، توفي 751هـ.
- 1- (العواصم والقواصم) لمحمد بن الوزير اليماني، واختصره في (الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم)، توفي 840هـ.¹
- 7- (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) (مصطفى السباعي ، توفي 1384هـ.
- 8- (الأنوار الكاشفة لما في كتاب " أضواء على السنة " من الزلل والتضليل والمجازفة) عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، توفي 1386هـ.
- 9- (دفاع عن السنة وردّ شبه المستشرقين والكُتّاب المعاصرين) محمد بن محمد أبو شهبة، توفي 1403هـ.
- 10- (بيان الشُّبه الواردة على السنة قديماً وحديثاً وردّها ردّاً علمياً صحيحاً) محمد بن محمد أبو شهبة، توفي 1403هـ.
- 11- (الإسناد من الدين وصفحة مشرفة من تاريخ سماع الحديث عند المحدثين) (عبد الفتاح أبو غدة 1336-1417هـ)
- 12- (منزلة السنة في الإسلام وبيان أنه لا يُستغنى عنها بالقرآن) الشيخ محمد ناصر الدين الألباني توفي 1420 هـ.
- 13- (الوضع والوضاعون في الحديث النبوي) عبد الصمد بن بكر عابد.²

المبحث الثالث: جهود العلماء في الدفاع عن السنة النبوية في العصر الحديث

قد بذل العلماء المسلمون جهوداً كبيرة في سبيل الدفاع عن السنة النبوية في العصر الحاضر، و من أهم تلك الجهود ما يلي:

- 1- حيث عرضوا لمراحل كتابة الحديث النبوي، ثم جمعه وتدوينه ثم تصنيفه، ومناقشة ما أثير حول ذلك تفصيلاً، وبخاصة من قبل المستشرقين، وذكر الأدوار التاريخية التي مر بها.
- 2- كما عرضوا للمراحل التي مر فيها علوم الحديث منذ نشأته في عصر الصحابة - رضوان الله عليهم -، وما كان فيه من ظهور أصول قوانين الرواية وتوثيق الحديث سنداً ومنتأ إلى وقتنا الحاضر.
- 3- كما بحثوا طويلاً في مسألة ظهور الوضع في الحديث، وأطواره وبيان أسبابه، ووسائل مواجهته، وجهود العلماء في مقاومته.

¹ انظر السنة النبوية ومطاعن المبتدعين فيها د مكي الشامي ص 82

²مقالة بعنوان من صور نصره العلماء للسنة في العصر الحديث. أبو زيد محمد

<http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=211679>

4 - كما اتجه بعضهم للتأريخ للسنة النبوية وعلومها في رقعة جغرافية من رقاع العالم الإسلامي بخصوصها، وضمن فترة زمنية محددة.

5 - واتجه آخرون إلى التأريخ لجهود المرأة في خدمة الحديث النبوي في فترات زمنية محددة، ومن ثم جاءت عناية العلماء في هذه الفترة الزمنية المعاصرة في التصنيف في علوم الحديث امتداداً للجهود الأصيلة لعلماء الحديث.¹

6- وإلى جانب ما تميزت به بعض المؤلفات المعاصرة في علوم الحديث من تجديد في العرض أو الصياغة أو النقد أو الإضافة أو التطبيق.²

فكان كل جانب يكمل الجانب الآخر ويظهره ويمكّن له.

المبحث الرابع: من صور الدفاع عن السنة في العصر الحاضر

وبالإضافة إلى ما سبق أن هناك دراسات متعددة حول السنة النبوية في العصر الحديث، أرى من وجهة نظري أنها كذلك تعتبر نوعاً مهماً في الدفاع عن السنة النبوية، وأنها مؤكدة على منزلة السنة المطهرة بالأساليب المناسبة لهذا العصر، مع أن العمل بالسنة النبوية والتطبيق لها أقوى ما يدافع به عنها قبل كل شيء، ومنها:

أولاً: اهتمام كبير بدراسة الإعجاز العلمي في السنة النبوية؛ حيث أنشئت من أجلها مراكز وجمعيات علمية خاصة بدراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم بالاكشافات العلمية الحديثة الثابتة والمستقرة للحقائق الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية التي وصلت إليها الدراسة يذكر الغافلين، ويوعظ الكافرين الذين يعقلون منهم، حيث قال المولى العليم الحكيم: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)³

من أمثلة ذلك: الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة التي كانت بدايتها مؤسسة الإعجاز العلمي، وتم إنشاؤها عام 1400 هـ في جامعة الملك عبد العزيز، وهي إحدى الهيئات التابعة لرابطة العالم الإسلامي ذات الشخصية المستقلة، ولها موقع في الشبكة بعشر لغات، ومجلة الإعجاز العلمي، ومركز الإعجاز العلمي للبحوث والدراسات في فلسطين، وتم إنشاؤه عام 1429 هـ، ومركز دراسة الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وتم إنشاؤه عام 1431 هـ.

ثانياً: ابتكار الموسوعات الإلكترونية للأحاديث التي جمعت فيها آلاف الألوف من الأحاديث وكتب الجرح والتعديل والتراجم والشروح، بحيث وفرت الجهود والوقت لمن يهتم بدراسة الأحاديث النبوية.

¹ أحب أن أشير في هذه النقطة كتابين أولهما دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى أمال حسين -سلسلة كتاب الأمة و ثانيهما صفحات مشرقة من عناية المرأة بصحيح الإمام البخاري - رواية ودراسة -). محمد بن عزوز

² صور نصره العلماء للسنة في العصر الحديث أبو زيد محمد211679http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=

³ سورة فصلت 53

من أبرزها الجامع للحديث النبوي، وهو عبارة عن برنامج وقفي موسوعي ضخم يضم في قاعدة بياناته أكثر من أربعمئة كتاب مسند من الأحاديث النبوية والسنن والآثار، ويحمل بين طياته أكثر من خمسمئة وعشرين ألف حديث وأثر مسند، ويشرح أكثر من خمسمئة ألف كلمة، كأنه كتاب واحد للسنة وفقا لمناهج علماء الفقه والحديث.¹

ثالثا: عقد المؤتمرات والندوات والورشات في دراسة السنة النبوية في الدول الإسلامية محليا وعالميا،

والمؤتمرات كثيرة، منها مؤتمر السنة النبوية في الدراسات المعاصرة بجامعة اليرموك عام 1427هـ، والمؤتمر الدولي نبي الرحمة محمد - صلى الله عليه وسلم - عام 1431هـ، والمؤتمر العالمي للسيرة والسنة النبوية عام 1432هـ، ومؤتمر السنة النبوية وقضاياها المعاصرة في أكاديمية الدراسات الإسلامية في جامعة ملايا بماليزيا عام 1432هـ.

رابعا: إقامة مسابقات حفظ السنة النبوية، والمملكة العربية السعودية أنموذجا.

منها: مسابقة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز السنوية لحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية لدول جنوب شرق آسيا وجمهورية أوزباكستان وطاجيكستان وكازاخستان وقرغزستان في آسيا الوسطى، وهي التي أقيمت في العاصمة الاندونيسية جاكرتا، وكذلك مسابقة الأمير نايف بن عبد العزيز لحفظ السنة النبوية.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحابه الطيبين الطاهرين ومن سلك سبيلهم ونهج منهجهم إلى يوم الدين،

وفيما يلي أهم النتائج التي وصلت إليه من خلال هذا البحث:

1- فيما يتعلق بالدراسة للسنة سلبيًا:

أ- موقف الفرق المنحرفة من الشيعة والخوارج والمنعزلة من السنة النبوية.

ب- القرآنيون وهم من أهم الطوائف التي تتكرر السنة في العصر الحديث؛ فصلت في هذه الطائفة، بينت في البحث عن تاريخهم، وأهم دعواتهم وطوائفهم المعاصرة وأبرز شبهاتهم حول السنة النبوية.

2- فيما يتعلق بالدراسة للسنة إيجابيًا:

أ - جهود العلماء المسلمين في مقاومة الوضع في السنة، وأهم خطواتهم في سبيل ذلك.

ب - جهود العلماء في الدفاع عن السنة بالتأليف قديما وحديثا في كل ما يخدم السنة من العلوم والفنون.

¹ <http://www.sonnaonline.com>

ج - عرض موجز عن الجهود المبذولة من العلماء في سبيل الدفاع عن السنة في العصر الحديث، و بيان مختصر عن بعض الصور للدفاع عن السنة في عصرنا الحاضر بأساليب مناسبة للعصر.

أهم التوصيات من هذا البحث:

- 1- تشجيع العلماء وطلبة العلم من أبناء الأمة على بذل الجهد في خدمة السنة النبوية والذود عن المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، وبيان حقيقة الذين ينكرون حجية السنة ومصدريتها التشريعية والرد عليهم.
 - 2- تنبيه بعض المسلمين الذين يقعون في شبهات الإنكار للسنة المطهرة عن حسن نية، وهم الذين لم يتسلحوا بالعلوم الشرعية.
 - 3- توعية الناس في هذا العصر الراهن منزلة السنة في الإسلام، وأهميتها في التشريع الإسلامي ودعوتهم إلى العمل بما علموا من السنة، ولا يستصغرونه في حياتهم اليومية؛ حتى لا يقع في شبهة وفتنة إنكار السنة.
- آخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع:

- 1- الدمشقي، عماد الدين أبي الفراء. تفسير القرآن العظيم. مؤسسة الريان
- 2- السعدي، عبد الرحمن، (1421هـ). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق عبد الرحمن المعلا اللويحق مؤسسة الرسالة.
- 3- القرطبي، أبو عمر يوسف (1427هـ). جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في رواياته وحمله. دار ابن حزم.
- 4- القرطبي، عبد الله بن محمد (د.ت). الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة واي الفرقان. دار الشعب
- 5- عبد الغفار، د. السيد (د.ت). دراسات في الحديث الشريف السند والمتن. دار المعرفة الجامعية
- 6- الأعظمي، محمد حسن وعبد الرحمن، حبيب (د.ت) دراسات في الحديث النبوي.
- 7- نخبة من العلماء، دفاع عن الحديث النبوي الشريف وتقنين شبهات خصومه. مطبعة الإمام القاهرة
- 8- أحمد عمر هاشم، أحمد عمر (د.ت). دفاع عن الحديث النبوي. مكتبة وهبة
- 9- السجستاني، الحافظ أبي داود (د.ت). سنن أبي داود. تحقيق شعيب الأرنؤوط دار الرسالة العالمية
- 10- الترمذي، الحافظ محمد بن عيسى. (د.ت). سنن الترمذي. مكتبة المعارف
- 11- د مكي الشامي، د. مكي (د.ت). السنة النبوية ومطاعن المبتدعين فيها.
- 12- السباعي، د. مصطفى (د.ت). السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي. دار الوراق.
- 13- مزروعة، أ.د. محمود (د.ت). شبهات القرآنيين حول السنة النبوية.
- 14- الطبري اللالكائي، الإمام أبي القاسم هبة الله بن حسن (د.ت). شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم. تحقيق د أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي دار طيبة
- 15- الآجري، الإمام أبي بكر محمد بن الحسين (د.ت). "الشرعية". دار الدليل الأثرية

- 16- البخاري، الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل (د.ت). صحيح البخاري. المطبعة السلفية
- 17- بن مسلم القشيري النيسابوري، الحافظ أبي الحسين بن الحجاج (د.ت). "صحيح مسلم". دار المغني
- 18- بن سعيد، رياض (د.ت). القرآنيون وشبهاتهم. د.ط.
- 19- إلهي بخش، د. حادام حسين (د.ت). القرآنيون شبهاتهم حول السنة. مكتبة الصديق
- 20- صلاح، محمد (د.ت). قضايا منهجية ودعوية.
- 21- بن عثمان الذهبي، الحافظ أبو عبد الله محمد (د.ت). المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال. تحقيق محب الدين الخطيب الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
- 22- شيخ الإسلام لابن تيمية. (1406هـ). منهاج السنة النبوية. تحقيق محمد رشاد سالم مؤسسة قرطبة.
- 23- الإمام مالك بن أنس (د.ت). "الموطأ". مجموعة الفرقان التجارية
- 24- الجذوع، أ. سلمان (د.ت). نشأة القرآنيين وشبهاتهم في العصر الحديث. د.ط.
- 25- الأعظمي، حبيب الرحمن. (د.ت). نصره الحديث. د.ط.

فهرس المواقع:

<http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=211679>

<http://alminbral3elmy.com/vb/forumdisplay.php?f=158>

<http://www.ebadarahman.com/forum/showthread.php?10452>

<http://www.sonnaonline.com>

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v3.31.3